ألية التفكير النقدي لدحض الحجاج المغالط

لكحل سعاد

باحثة في الدكتوراه، تخصص اتصا

مقدمة:

يواجه الفرد في سائر الأوقات سيلا من الحجج يتعين التعامل معها فهما، قبولا أو دفعا،و عليه وجب السعي إلى إمتلاك أساليب الإقناع و طرائق التعامل الفعال مع جميع أنواع الحجج و الأدلة و إلى اكتساب ألية منهجية تحاورية فاعلة في شتى الميادين عبر توظيف مهاراته النقدية التي يعالج بها كل أنواع الممارسات الاجتماعية تكون كعصارة تطبيقية للعملية الحجاجية ،فيها يظهر الفرد بدور المدعي العارض بالتدليل على وجهة نظره بإقناع الطرف الأخر المعترض بصحة الأدلة التي يقوم بإنتاجها و هي الضامن لنجاح إلتزامات وتعهدات جميع الأطراف المشاركين في عملية التحاور. و لا تتحقق هذه النجاعة إلا عبر تجسيد ممارسة حجاجية في معناها السوي الذي يعد مظهر للتفاعل اللغوي الجدلي يشهد على سيادة ثقافة الحوار والتواصل و يقوم على الانتصار لرأي ما و الدفاع عنه بالحجج العقلية و بوسائل الاقناع و الإفحام و الغلبة بالحجة و الدليل السليم،حيث أن وجود مثل هذهالمؤشرات هو دلالة على نفاذية الخطاب و بلاغة تأثيره. لكن يحدث في الكثير من الأحيان وأن ينزاح التحاور عن هذه الغايات،خاصة عندما يتعلق الامربتحقيق الأهداف المنفعيةالخاصة،عندها فقط ترد الحجج معوجة ولاحنة وهو ما يعطل طاقاتها في إنتاج المعقولية،و بدل الإحتكام إلى سلطة العقل و المسلمات المشتركة بين الأطراف المتحاورة و المبنية على أسس سليمة يتم اللجوء إلى الإستمالة و المشاحنة و المغالطة، العنف، التطرف، المواربة، التمويه، الحيل، التظليل، و ينقلب بالتالي الحجاج في مضمونه إلى ألة تطويعية عنيفة تمارس بطرق شتى خاصة ما تعلق منها بالوسائل اللغوية، فينزاح الأطرافعن دائرة الحوار التعاوني المنتج ويتحول إلى إطار تعسفي إعناتي عقيم، ينقلب بذلك من دائرة الحجاج السليم إلى دائرة الحجاج المغالط يخرق القواعد العادية للتواصل،مما يستدعي البحث والتمحيص في السبل التي نُفعّلُ بها تفكيرنا بشكل يُعطُل مسار المغالطات ويتصدى لها، فمثل هذه الممارسة في نظر – محمد العمري– ليست غريبة في زمن كثرت فيه الأحزاب واشتد فيه الصراع الكلامي بين أقوام لا شبه بينهم إلا سوء النية و إبليسها.

مفهوم التحاجج:

يشير (lard. Johnson) في مؤلف "العقلانية الواضحة والنظرية التداولية للحجاج" إلى أن التحاجج هو نوع من الخطاب يقوم على عملية الإعتراض على القضايا بقصد الوصول إلى صحة أو كذب القضايا المطروحة للنقاش، يقوم فيها المدعي "العارض" بالتدليل على وجهة نظره بإقناع الطرف الأخر "المعترض" بصحة الأدلة التي يقوم بإنتاجها ويكون هذا التدليل هو خلاصة التطبيق لعملية التحاجج. والتحاجج في التعريف التداولي يجمع بين ثلاثة أنشطة أساسية وهي:

– النشاط اللغوي اللساني: وهو تحقيق للقواعد الأساسية لاستعمال اللغة، سواء القواعد التركيبية أم الدلالية أم التداولية.

– النشاط الاجتماعي: يستند الى القاعدة المباشرة التي تحقق عملية التواصل والتفاعل بين الاطراف، وهو نشاط اجتماعي تفاعلي.

– النشاط العقلي: يستند الى قاعدة عامة وهي إعمال العقل والفكر، فالحجاج في هذه الحالة هو انتاج لمجموعة من المعتقدات والمعارف وتحقيق لها.

مبادئ لضبط الحوارالسليم:

إن الحوار هو عبارة عن متوالية من الرسائل أو أفعال الكلام يتداولها طرف أو أكثر من المشاركين وله مظاهر متعددة وأنماط كثيرة يتم التمييز بين هذه الأنماط تبعا للوضع الذي يميز لحظة إنطلاق المحاورة والقواعد التي تحكم سيرها والسعييالى تحقيق الهدف المسطر لحظة البدأ فيها،[1]إن المقاربة الخطابية للحجاج السليم تهدف إلى تحقيق مبدأ الإقناع في عملية التبادلات الحجاجية، وتبحث في تساؤلات من قبيل كيفية نهوض كل من المتكلم المدعي والمخاطب المعترض لإنتاج العملية التواصلية؟ ومعرفة المبادئ والحدود التي تضبط الأطراف المتحاججة

والنظر في نوعية التعهدات والالتزامات التي تخص كل أنواع الحجج المطروحة وكذا التساؤل عن النتائج والآثار الناتجة عن هذه التبادلات بين المتحاورين،فنجاح المحاورة يقوم على ما يسمى "الفهم الداخلي للخطاب" بين الأطراف كون أن التخاطبات لا تعتبر بنيات مصاغة فقط بل هي بناء تعاوني مركب بتركيزه على دور المخاطب في حل الإختلافات التي تحصل في عملية الحوار وقد ذهبت التداولية التحادثية مع Paul) (Griceو(Herbert) إلى اعتبار أن الحوار تسيره قواعد وقوانين نظّر لها (Paul Grice) في مقاله الشهير "منطق التخاطب" مفترضا فيها أن عملية التخاطب يحكمها مبدأ عام يسمى "**مبدا التعاون**"، معتبرا أن أفعال اللغة هي عبارة عن أدلة في ذاتها تؤسس لتعاون تقويمي في عملية التخاطبعلى اعتبار أن التواصل ممكن بين بني البشر لتوافقهم الضمني على التعاون من أجل إنجاح العملية التخاطبية، وهي ما يُمكّن المعترض من تحديد درجة فهمه للخطاب وقدرته على إعادة إنتاج التأويلات المشتركة[2] وبالتالي إعادة إنتاجه لحجج جديدة تكون دالة على فهم وإستمرارية الخطاب. غير أن هذا الفهم لا يكتمل دون أن يكون مضمون الحجج صحيحا فمفهوم "الصحة" هو أحد المبادئ المهمة في عملية التحاجج حسبما أشار اليه(Mc.Peck) وهو مركز اهتمام النظرية الحجاجية والضامن لتطبيق هذه الإلتزامات على اعتبار أن قصد المتلقي يتم الوصول إليه بصحة الحجج المحققة بين جملة المطالب المطروحة بين الأطراف المشاركة. غير أنتحقيق عملية التواصل هذه قد تتعرض لخرق مبدأ منمبادئهامن قبل أحد الأطراف المشاركةفي المحاورة سواء من قبل المحاوَر أو المحاوِر ما يؤدي إلىخرق إستمرارية ونجاح العملية التواصلية الحجاجية،[3] ويتحول الرهان بين المتحاورين إلى "الغلبة" من خلال اللجوء إلى الإستعمال العدواني للغة فينقلب الحوار المبني على المبادئ السليمة الواضحة إلى نقاش[*]تضليلي يخرق قواعد الحوار التفاعلي وكل أشكال التواصل[4] ويتحول مفهوم "الأطراف المتحاورة"ليؤدي معنى"الضحية والمستفيد"في عملية جدالية عقيمة وسلوك تضليلي صادر ضمنيا عن سؤال مفاده: كيف أجعل غيري في تفاعل لغوي ضحية لعباراتي؟[5]

مفهوم المغالطة السفسطائية:

إن ربط الحجاج بالمغالطة والكشف عما ينطوي عليه من تمويه يقتضي مبدئيا تحديد المقصود بالمغالطة، هذا المصطلح الذي استمدت جذوره من اللغة اليونانية والمسمى (paralogismos)وهي تتكون من جزين (Para) بمعنى (Faux- à côté) (مجانب–خاطئ) و(Logismos) بمعنى (Calcul- raisonnement) وهي تعني حجاجا خاطئا[6] وقد نسب مفهوم المغالطة الى الخطباء الأوائل الذين كانوا يعرفون بالسفسطائيين أي الإنتساب إلى الحكمة وتعني (صوفيا – Sophos) في اللغة اليونانية الحكيم أو معلم الحكمة[7] لأن المصطلح كان يدل في أول الأمر على ذات المعنى الحرفي لكلمة "السفسطة" وهي نوع من الحكمة القولية التي يتعين تلقينها وتدريسها[8] ثم تحولت هذه الكلمة لتكتسب معنا قدحيا تحت تأثير النقد الافلاطوني ليصبح معناها استدلالا فاسدا أو غير صحيح يبدو وكأنه صحيح لأنه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا على الرغم مما به من غلط مقصود وذلك لاختفاء هذا الغلط وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية أو لعدم الإنتباه إلى ما به من مخالفة للقواعد المنطقية.[9]

– إن ممارسة السفسطة تدل في مضمونها على ممارسة فعل ما فأن تتكلم يعني في الأن نفسه أن تأثر(agir)

وأن تفعل(faire) و عليه كان ظهور هذا التأثير واضحا في اجتماع خطاباتهم على تضليل الشباب ونشر الأوهام والأغاليط بين الناس سالكين إلى مصالحهم الضيقة أقصر الطرق وعمدتهم في ذلك أسلوب التهييج العاطفي وشحن المشاعر لكي تغيب كل ملكات التفكير الهادئ والمتزن ويغيب الحس النقدي عن طريق المخادعة المكشوفة التي تنقل من حالة الى حالة، كان خطاب السفسطة (يفعل) بالنقل من حالة الى حالة فهو لا يعد إنجازا فقط بالمعنى المحفلي الإستعراضي (épideictique) للكلمة،إنه إنجاز بالمعنى الأوستيني (نسبة الى Austin) لأن الخطاب بهذا الشكل السفسطائي أو حتى بأشكالأخرى هو "صانع" يصنع العالم ويجعله يجري ويحدث[10]كون أنمرجعية الحقيقة – بالنسبة اليهم– تبنى وتشيد في خضم الصراع والتدافع الاجتماعي، ومن ثمة كانت عنايتهم كبيرة بالمبارات الكلامية التي لا يحكمها ضوابط ومرجعيات موضوعية، انما يترك فيها المجال للقدرات الكلامية وبالتالي يصير الحسم للسلطة "سلطة اللغة والكلام".

أشكال تجسد المغالطات:

1- الحجاج المغالطة، الغلط والتغليط:

يصنف "الحجاج المغالط" ضمن قائمة الأفعال الكلامية السلبية التي تقوم على تبني نوع من الحجج يدّعي واضعها أنها مشروعة من دون أن تكون كذلك لأنها نوع من المخاطبة أو المخادعة المقدوح فيها علميا وأخلاقيا[11] يسعى من خلاله المغالط إلى التأثير الذهني في المتلقي وتوجيهه إلى عمل ما ودفعه إليه عن طريق إستعمال مجموعة من الألفاظ المموهة يستغل فيها سلطة اللغة لإستدراج المخاطب ومن ثمة تغليطه.[12]أما "الغلط والتغليط" فقد ميز بينهما محمد العمري بقوله "المغالطة درجات من الخفاء منها ما يلتبس بالأقيسة المنطقية ولا يتوصل إلى كشف زيفه إلا بالنظر السديد العميق، ومنها ما هو ظاهر العطب يقوم على الإستخفاف بالمتلقي وهو أقرب إلى الإعنات وعليه يقع التمييز بين نوعين من التهافت الحجاجي- تهافت الغلط لضعف الحس النقدي وتهافت مع نية التضليل - يدعى الاول غلطا والثاني مغالطة. [13]ولكليهماإرتباط وثيق بمقصدية المتكلم، فالغلط إستدلال فاسد كونه يعد خطأ غير مقصود لعدم وجود نية التغليط، لذا فهو نابع عن حسن نية،أما التغليط فهو حجة أو إستدلال يتّخذ ظاهريا صورة إستدلال يظهر أنه صادق لكنه عكس حقيقته، فهو فاسد إن كان في صورة إستدلال وكاذب إن كان قضية[14] والسبب أن صاحبه يقصد به التدليس والتمويه والاخفاء، فهو ينوي مسبقا إلى وضع الشيئ في غير موضعه وهو ما يُضلَلُ به من المسائل، وكل من يستخدم مثل هذا الإستدلال الفاسد في حقيقته فهو سفسطائي كون أنه لا يحتج أو يستدل من أجل الوصول إلى الحقيقة، بل من أجل دحض منافسه مع تعمُّدِ تضليله وقصد خداعه ومحاولة إخفاء الحقيقة عنه.

2- تقسيمات أرسطو للمغالطات:

يستغل المغالط البعد البنيوي والوظيفي للغة وكل ما توفره اللغات الطبيعية من إمكانات قصد استدراج المخاطب واستمالته وحمله على الاذعان، فينتج حجج سلبية باعتماد الاشتراك والغموض وباستعمال التعتيم والخلط بين الألفاظ والتعابير[15]، وقد عمل أرسطو على جمع هذه المغالطات في كتابه "المغالطات السفسطائية" الذي يعتبر أول تصنيف للحجج الفاسدة، قام بتقسيمها إلى ثلاثة عشر قسما: سميت المغالطات الستة الأولى - مغالطات لفضية (Indiction)- والسبعة الباقية مغالطات غير لفظية (Extradiction) وهي كالتالي: [16]

المغالطات	
لفظية	غير لفظية
1- الاشتراك	1- العرض
2- الاشتباه	2- الاطلاق و غير الاطلاق
3- النبر	3- الجهل بما هو الإبطال
4- التركيب	4- اللزوم
5- القسمة	5- المصادرة على المطلوب
6- شكل العبارة	6- اعتبار ما ليس بعلة علة
7- جمع مسائل كثير في مسالة واحدة	

- سنركز هنا على ما يحيل عليه أرسطو بعناوين المغالطات اللفظية من مثل الإشتراك والإشتباه والنبر وحتى على جمع مسائل عديدة في مسألة واحدة أو اعتماد ألفاظ مشتركة وغامضة تجعل المخاطب يتردد في إسناد المعنى المقصود فيها ومن ثمة إلى الشبهة في الفهم والإدراك إعتمادا على مقومات تتعلق بالدرجة الأولى باللغة وبخصائصها التركيبية والدلالية والتداولية:
- **مغالطات تركيبية**[17]: يتعلق مفهوم التركيب بكيفية تأليف عناصر المقدمات وكيفية ترتيبها، إذ ليس كافيا أن تعرف ما تريد قوله بل يجب أن تعرف أيضا كيف تسوغه وكيف ترتب أجزائه وتربطها ببعضها البعض، ففي العديد من الحالات يصدر الخطاب في صورة مقدمات وهمية كاذبة خاطئة والمعلوم أن لكل لغة بنياتها التركيبية الأصلية يستغلها المغالط لإحداث تحويلات تركيبية في بنية الحجج فيؤدي تغيير بنيتها إلى تغيير معناها من ذلك أن يقع في الكلام تقديم أو تأخير أو يقع الفصل بين بعض العبارات وقد يبرز الخطاب من حيث بنيته التركيبية أو يبطن خلفيات إيديولوجية معينة تكون بالتالي مشحونة بتصورات ومواقف شبيهة بالحقيقة دون أن تكون كذلك أو شبيهة بالمشهور لكنها ليست كذلك أيضا يحدث كل هذا نتيجة اختيارا أنماط تركيبية معينةومن أمثلة ذلك: تقديم حجة (أمريكا دولة نووية وقوة

عسكرية لها الحق أن تهيمن على العالم) وتأخير حجة (إسرائيل –كذلك– دولة نووية وقوة عسكرية) المغالطة المقصودة من اعتماد هذا الترتيب (إسرائيل لها أيضا الحق أن تهيمن على العالم).

-**مغالطات دلالية**: تقوم على الجمع بين الدلالات المعجمية للألفاظ والمعاني الحرفية للملفوظات أو الجمل والمتمثلة في اجتماع دلالات وحداتها المعجمية ولعل مناط المغالطات هنا هو الألفاظ التي فيها من الاشتباه والإشتراك والتعميم ما يجعل الواحد منها يطلق على مسميات مختلفة ويدل به على مدلولات متعددة غير ما اتفق عليه، فيستغل المغالط بذلك كل ما تيسره لهالطبيعة الغير ثابتة للغة مثل الاستعارات، التشبيهات، الإحالة الذاتية، قابلية إنعكاس ألفاظ اللغة الطبيعية وغيرها من الظواهر القابلة لجعل صور الشبه تتعدد وتتكاثر أمام المتلقي[18]، وعملية تحريف الألفاظ تخلق اختلافا في التأويلات بشكل يجعل "المخاطَب" يعجز عن تفصيل المعاني التي يتوفر عليها اللفظ الواحد واختيار ما يلائمه،وكمثال عن المغالطات في المجال السياسي تحرير بعض الكلمات في الاتفاقيات من القيود الدلالية لتؤدي دلالات مختلفة مثل عدم الإنتباه إلى صياغة بند من بنود إتفاقية (واي ريفر) القاضية بالإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين من دون تحديد المقصود بالمعتقلين (هل هم معتقلي الحق العام أو المعتقلين المناضلين...) فالغفلة عن الإنتباه للإشتباه الذي تحمله العبارتان تكون النتيجة الوقوع ضحية مغالطة سوء إعتبار الحمل[*] أو الإطلاق والتقييدلذلك لا ينبغي حمل الكثير من الالفاظ والعبارات على الظاهر لأن عدم الانتباه للحيل المطوية فيه يؤدي إلى السقوط ضحية الخدعة والمناورة، وهو من أكثر الاساليب التي يعتمدها المغالط للتمويه والتدليس سائلا كان أم مجيبا،

- **مغالطات تداولية**: إن الحجاج كأي فعل تواصلي محكوم بالسياقات والظروف التي انتجته، يتعلق الأمر هنا بالسياقات الخارج لسانية لارتباطها بالمقامكما يتعلق بالخلفيات المعرفية أيا كانت أصنافها ومصادرها،فالمستدل في هذا المستوى من التغليط يعمد إلى استدلالات غير مباشرة ينطلق فيها من مقدمات لا تدل بظاهرها على المقصود منها،يكون قد جرى تداولها ضمن جماعة بشرية معينة مستفيدا في ذلك مثلا من كل ما يمثل ظواهر مجازية أو انجازات لغوية غير مباشرة، وتعمل وسائل الاعلام عبر الجرائد، التلفزة، المجلات، النقاشات السياسية على تمرير هذا النوع من العبارات المظللة لخدمة أغراض سياسية أو بهدف التأسيس لواقع جديد بشكل تُحيد فيها عن تسمية الأشياء بمسمياتها مما يتعذر تحديد مدلوله تحديدا دقيقا، فكلمة " عدواني" التي يرى أمين معلوف أنها كانت ذات دلالة سلبية قبل ثلاثين عاما، لكنها اليوم أصبحت ذات دلالة إيجابية تعبر وتدل على الإقدام والجرأة، بفعل التسويق والإشهار والإعلام[19]. فما يحصل من تغليط كهذا لا يرجع إلى التباس اللفظ أو الملفوظ في حد ذاته إنما يعود إلى حركته التداولية على مستوى التلفظ لارتباطهبالزمن والمكان، الخلفيات الايديولوجية[20] وعليه يحدث التغليط في مستوى التداول إلى الإستناد لألية "الإستبدال" في الوحدات، سواء ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي أو السياسي أو الإقتصادي مثل: إستبدال القصف الجوي بالعمليات الجراحية، الإبادة أضحت تسمى تطهيرا عرقيا، خادمة البيت تحولت إلى مساعدة عائلية، والمعاقون أصبحوا يسمون ذوي الحاجات الخاصة، والأضرار الجانبية حلّت، في حديث وسائل الإعلام، محل قتلى الحرب[21]ان حدوث هكذا مغالطات يرجع الى ما تسمح به اللغات الطبيعية فمعاني الكلمات غير ثابتة. إنها تتحرك وتتلون وتتبدل حسب السياقات والعصور وعمل المغالط في ذلك لا يتوقف فقط على مدى معرفته كيفية توظيف ثغرات التسنين بل متوقف أيضا على كفاءاته اللغوية وكذا كفاءاته المعرفية والتداولية

3- **سفسطات ad**:

أورد **(John Locke)** جملة أخرى من أشكال السفسطات يعتبرها عقبات حجاجية تحرف التفكير عن مساره الصحيح وقد عدّدتأربعة مظاهر من هذه العقبات التي أصبحت تعرف بعده بسفسطات ad وهي: [22]

-(Argumentum ad verecundiam): ويتعلق الأمر هنا بتلك الممارسات الحجاجية التي تستند على السلطة سلطة الأشخاص المعتبرين بموقعهم الإجتماعي أو المهني أو بصفتهم العلمية أو أي إعتبار أخر فلفظ (verecundia) يفيد في اللتينية معاني الإحترام والهيبة التي ترتبط بشخص مميز.

-(argumentum ad Ignorantiam): ويتعلق الأمر في هذه الحالة بحجاج يستغل جهل المخاطب فيتم إحراجه إما بدعوته إلى الإتيان بحجج أفضل مما نقدمه له، أو أن يقبل الرأي الذي نعرضه عليه،أي ندعوه ليكون هو البادئ ببيان تهافت الرأي الذي نعرضه عليه مع العلم أن صاحب الرأي هو المطالب بالدفاع عن رأيه إبتداءا

-(argumentum ad hominem):يتمثل في ذلك المسلك الحجاجي الذي يقوم على القدح في الشخص المخالف في الرأي، فيتم تقصد إلتزامه الأخلاقي أو مؤهلاته العلمية لينصب على خطا الرأي الذي يعتنقه، وواضح أن الغاية من اللجوء إلى هذا الأسلوب هو تعدية نقد الشخص إلى دعواه أو بيان التعارض في أقواله وأفعاله.

-(argumentum ad juridicium): وهذا الوجه من الحجاج هو الوحيد الذي يحظى بقبول (John locke)لأنه يتأسس على الأحكام التي نسوغها حول طبائع الاشياء (الاتصال بالواقع التجريبي) إنه الشكل الوحيد من الحجاج القادر على إنتاج معرفة صحيحة في نظره.

4- أنواع التطويع الكلامي:

يركز هابرماس في كتابه "إيتيقا النقاش" على ظرورة خلو الحوار من أي قصر أو ارغام من خلال سعيه الحثيث الى "أخلَقةِ" العمليات التذاوتية بين الاطراف المتحاجّة ووضع مجموعة من المعايير لمسطرة عمليات التعبير ونجاح سيرورة التحاجج –كالمعقولية، الحقيقة، الصحة، الصدق،[23] كأساس لإحترام ووعي المخاطب وتقديره من دون أي هيمنة أو مراوغة خبيثة أو تطويع ساذج (Manipulation naïve) فالتطويع عملية وجدانية بعيدة عن مجال العقل و الفكر إنه بعبارة أصح نوع من الإستجداء العاطفي المهين إذ يعمد إلى الغلط المقصود الذي يختفي وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية بحيث لا تتبين حقيقته إلا بالفحص الدقيق، يعتبر وجوده مدمرا لكل بناء حجاجي ينشد التأثيرفهو في نظر (Philip Breton) فعل مكره وعنيف لاعتماده على التضليل ولسلبه حرية الأخر بهدف إخضاعه فهو كذبة منظمة يتوخى منه تغليط الأخر ويقوم على العناصر التالية:[24]

- التطويع الإنفعالي (Manipulation mathématique): يضطر الفرد الى تحمل أدوار إجتماعية وإخراجها بمواصفاتها حتى يأثر في متلقيه وفي هذا الصدد يستعمل المناورات العاطفية المناسبة للتأثير في الناس والاستحواذ على عواطفهم وتوجيه ميولهم
- التطويع المعرفي (M.Cognitive): يستعمل المتكلم تقنية "التأطير" وذلك باستثمار معان يعرفها المتلقي وإعادة توظيفها لأغراض أخرى وهكذا يضطر حسب السياق إلى تحويل الكذب إلى حقيقة والعكس.ويعتمد هذا النوع من التطويع على الردود اللاإرادية، التكرار، إثارة إستجابات وسلوكيات محددة سلفا بواسطة حوافر متكررة، نشير في هذا الصدد إلى إشهار مارلبورو في الخمسينيات الذي كان يهدف إلى توسيع قاعدة المقتنين من الرجال ولهذا ركز على ما يتوفر عليه رعاة البقر من سمات الرجولة والخشونة والذكورة.كما يرتكز هذا النوع من التطويع أيضا على الخلط (amalgame) وذلك على نحو ما يقوم به اليمين في فرنسا فهو يحدد المشكلة (البطالة، الإنحراف، تغير القيم) ثم يصوغ رسالة تربط بين هذه المشاكل وبين وجود الاجانب (خاصة العرب والافارقة) في فرنسا (ما يصطلح عليه بفرنسي الاوراق – français de papier) ثم يستعمل صحافته بهدف إبرازه للرأي العام وما أحدثته الهجرة من مشاكل مزمنة في عقر ديار الفرنسيين.
- التطويع الذهني (M.mentale):يؤثر هذا التطويع في ذهن المتلقي ويجعله يتلقى ما يبث، إليه دون رفض أو إصدار حكم وهو نوع من برمجة ذهن المتلقي بسلوكيات معينة بعد تدريبه على القيام بها في ظروف ومقامات مختلفة ويعتمد هذا النوع من التطويع على العاطفة (الترهيب، الترغيب، الوعد، الوعيد) والتكرار، الضغط، المكافأة، العقاب.
- التطويع المهني (M.Proffessionnelle): يراهن من خلاله إما على التعريف بالمنتج أو على الرفع من مبيعات بضاعة ما أو على التصويت على مرشح ما.
- التطويع العلائقي(M.relationnelle) :يتظاهر المطوع بالظرافة واللطف واللباقة ويستثمر ما أوتي من ذكاء وحيوية وفاعلية ومرونة لنيل مراده ومن بين الأمور التي يعتمد عليها نذكر: عدم الوضوح، التشكيك في قدرات الأخر، الظهور بمظهر الضحية، تغيير الأفكار والأحاسيس حسب الظروف،إستعمال خطاب منطقي ومنسجم، عدم تحمل النقد، كل هذه الأصناف التي سبق ذكرها تعتمد الكلام للتأثير في الأخر وتغيير معتقداته.

5- الإستدلالات و الأقيسة المغلوطة:

يرى أرسطو أن القياس يتمتع بقوة أكبر وهو أشد تأثيرا أمام ضرورات مجابهة المعترضين غير أن منهما ماهو حقيقي ومنهما ما هو غير ذلك، ولا يميز بين الحقيقي والزائغ الا من هو خبير بالأقوال،[25]فكما تقع المغالطة في الكلمات والعبارات تقع أيضا في الإستدلالات والأقيسة المغلوطة التي تعتمد بالأساس حججا خاطئة، فالمغالطة قياس وهمي غير منتج يراد به إسكات الخصم وإظهار الإنتصار عليه بتضليله عن الحقيقة باستعمال العديد من السبل المختلفة والطرق غير المشروعة إذ يستند المغالط في فعلته إلى أليات تغليطية يضفي عليها صفة الحق أو المشهور كي يوهم المخاطب بسلامة حجاجه،أو يوهم الخصم بأنه بنى القياس على مقدمات صادقة ومشهورة دون أن يكون الأمر كذلك حقيقة، ينجم هذا اللبس عن كونه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا، لأن أغلب المغالطات تصدر عن الحجج الغير لوغوسية (نسبة إلى logos) فهو يبدو في صورة إستدلال أو قياس صحيح لكنه فاسد وسقيم في حقيقته، يقول الفرابي "متى عرفنا القياس وقوينا على تباين ما بين الأشياء لم يقع علينا غلط إذا تأملنا ولا مغالطة إذا خوطبنا. ويرجع أبو نصر الفرابي وقوع الإنسان ضحية المغالطات إلى جهله بالنظريتين الأرسطيتين القياسية والجدلية فيقول إن المواضع لا تغلط كل إنسان إنما تغلط من كان به نقص، والنقص عند الفرابي هو:

-أن لا يعرف القياس وأصنافه ولا المقدمات على الجهة التي حددنا.

-أن ينقص إحدى تلك القوى الأربعة – الألات الجدلية الأربعة: ألة الإقتضاب، ألة القدرة على تمييز الإشتراك،ألة القدرة على تمييز الفضول، ألة القدرة على إدراك التشابه-

-أو أن تكون تلك القوى بأسرها ناقصة.

التفكير النقدي من منظور المدرسة الهولندية:

إن جملة المغالطات التي سبق ذكرها لفظية كانت أم استدلالية ليست ممارسة سفسطائية فقط لكنها ممارسة قائمة على خرق شروط العقلانية التواصلية التداولية التي تحكمها أخلاقيات الحجاج السليم القائمة على الفهم الصحيح والتي تأسس لثقافة التسامح والتحرر من الوثوقية والإنصات إلى الحجج المساندة للرأي الخصم وتغيير المواقف كلما كانت مقنعة وعقلانية، وفقا لهذا المنظور لا يعني إرتكاب *سفسطة/حجاج مغالط*إقداما على سلوك مشكوك فيه أخلاقيا ولكنه يشكل غلطا من حيث كونه يعيق الجهود التي تبذل من أجل حل المحاورة،[26] ولكي يُسدّ الباب على هذه الحيل والأساليب المراوغة عمد التصور التداولي المعاصر للحوار (التفكير) النقدي ممثلا في المدرسة الهولندية بزعامة (van.Emeren)و(R.Grootendorst)على تلقين الحجاج من منظور نقدي يشتغل على موضوع المغالطات باعتبارها خرق لقواعد الخطاب الحجاجي من خلال وضع معيار للتفكير يستند على بنية الحوار النقدي كألية للتفاعل في مختلف مجالات الحياة، فهي تهتم بدراسة كل أشكال التخاطب اليومي بين الافراد، نظرّت المدرسة لهذا النوع من التفكير ضمن الابحاث الخاصة بالتواصل التّخاطبي اللغوي في معهد "الدراسات الوظيفية حول اللغة وطرائق استعمالها" من خلال الجمع بين البحث اللساني والبحث المنطقي المستند لدراسة استعمالات اللغة ومن خلال توظيف مجموعة من البحوث التي عنيت بدراسة الحجاج: كالبلاغة الجديدة عند (Perelman &Tyteca) واللسانيات الحجاجية عند (Ducrot)والمنطق الطبيعي عند (G.B.Grize)، التداوليات اللغوية عند (Austin & Searle)، أبحاث النقد العقلاني عند (K.Popper & A.Hans) لبناء قانون عقلاني لقيادة التخاطب الحجاجي بين طرفين[27]وإلى وضع مقاربة للإستعمالات اللغوية في البحث التداولي ودراسة خصائص الحوار النقدي القائم على فهم وإدراك والتصدي للإكراهات المطروحة في عملية المحاججة،فبمعرفة ببنية المغالطات باعتبارها خرقا لقواعد الحوار السليم[28] يمكن تحديد كل أنواع الخروقات التي تعوق عملية سير هذا الحوار بين المشاركين سواء ما تعلق بالمحاججة أو بالمناظرة، مع وضع حدود خاصة بتقوية النموذج الحجاجي سعيا لتكوين مقدمات قوية يمكن لكل فرد الرجوع إليها ضمن إطار مرجعي خاصيقوم فيه البحث الخاص بالفهمالداخلي بين المشاركين في الحوار على:

-**البحث عن مجال(لغة) مشترك:** فبدون لغة مشتركة يكون الحوار صعبا و عليه فان البحث في هذا المجال يتم داخل الحوارات التي تُبنى وتُنتج من مرجعيات مشتركة كما ذهب الى ذلك (J.Searle)

- **القدرة على فك الإلتباس وإبعاد المغالطات:** بمعنى اللاتجانس داخل الحوارات حيث يجب تحديد المؤشرات التي

قد تكون إيجابية إنطلاقا من الفهم الصحيح الذي يحصل بينهما سواء تعلق الأمر بالعلامات أو الإشارات الشفهية أو غير الشفهية، وقد تكون سلبية سواء مباشرة أو غير مباشرة مما يصبح لزاما على كل منهما طلب التوضيح والتفسير طبقا لنظرية التشارح في الحوارالحجاجي عند (W.Douglas).

- **التبادلات الصحيحة والجيدة**: إن عملية الفهم الداخلي تقوم على نظرية التأويل وتتبعه دائما رصد أي خطأ فيها مع ظرورة إمتلاك قدرة على تصحيح هذا الفهم سواء عند العارض أو المعترض وهو ما سمي عند (fokonier)"بالتصحيح الذاتي".
- **القدرة خارج تواصل بين المتكلم والمخاطب**: تهم بالأساس القدرة الحجاجية أو التدليلية لحل الخلاف

بين طرفين لحصول الفهم التام بينهما والتي نستطيع الحصول عليها في نشاط هذا الحوار مرة أخرى كما هو الحال عند (van.Emeren & R.Grootendorst).

أصبح بذلك الحوار النقدي المعاصر فرعا من فروع التفكير النقدي يعتمد عملية المحاججة ضمن التصور الجديد للمدرسة الهولندية ضمن تحديد ثلاثة معايير تطرق لها كل من(A.Blair & Johnson)في مؤلفيهما "وضعية المنطق غير الصوري والتفكير النقدي" (1977) وهي (الملائمة، الكفاية، المقبولية) يعتمد كل مبدأ على:

- **مبدأ الملائمة**:يقوم من خلال التركيز على علاقة المطابقة بين المقدمات و النتائج.
- **مبدأالكفاية**:يتساءل عن مدى كفاية الادلة والاثباتات لكل النتائج المحققة للمطلوب.
- **مبدأ المقبولية**: تُعنى بالبحث عن مدى صدق وصحة القضايا. (29)

بهذا المفهوم لا تركز المدرسةعلى أدلة العارض أو المعترض من خلال صياغة مفاهيم جدلية للحجة إعتمادا على قواعد – الكشف، الفحص، النقد– فقط، بل تركز من ضمن ما أسست له على تلقين الفرد لمهارات ترى من الضروري إكتسابها كونها المهارة الأساسية والجامعة للمهارات الأخرى المتيحة للخيارات الممكنة والهادفة لحل المسائل من خلال تطوير جملة من الطاقات الفكرية:

- تطوير المهارات الخاصة بالتحليل والتأويل والتقويم والنقد والاستدلال وتركيب وبناء الأدلة والحجج،إعتماد قواعد عقلية وآليات نقدية للتدليل والمحاججة.
- التدريب على تقنيات الحوار، مواجهة الدعاوى، الرد على إعتراضات الخصوم في التعامل مع نصوص ذات تداول في الحياة اليوميةكتفكيك وتركيب الحجج المستخدمة عبر وسائل الإعلام مثل: إفتتاحيات الصحف، خطب الزعماء، حوارات المشاهير، المرافعات في المحاكم الخ...
- وضع معايير تسمح بالضرورة للحكم على أنه تم خرق افتراض من الإفتراضات والضوابط السابقة للحوار، فحينما لا يوجد معيار لتحديد ذلك فليس هنالك إمكانية لتحديد غياب أو حضور أي نوع من المغالطات في الحوار النقدي.
- وضع أليات وإجراءات تأويلية تسمح بتحديد ما إذا تحقق الملفوظ بشكل ناجح وملائم طبقا للأليات المطروحة.
- إعتماد الشك كأساس للوصول إلى اليقين كأنجع مهارة لإكتشاف الحجج المموهة ومحاولة تحديد طبقات المغالطات التي تظم مجال السفسطة.

يوضحالجدول التالي أهم المهارات التي ركزت عليها المدرسة الهولندية: (30)

المهارات العامة	المهارات الجزئية
مهارات التحليل:	مهارة دراسة و معالجة الافكار. مهارة تعريف الحجج و الأدلة. مهارة تحليل الأدلة.
مهارات التقويم:	مهارة تقويم الادعاءات والمطالب. مهارة تقويم الأدلة.

مهارات الاستدلال:	مهارة التساؤل عن الأدلة والحجج. مهارة الحدس في تحديد الخيارات والبدائل. مهارة استخلاص النتائج وتحديدها.
مهارة التأويل:	مهارة تحديد الحقل الدلالي. مهارة التأويل الدلالي. مهارة توضيح المعاني.
مهارة التشارح والتفسير:	مهارة ضبط النتائج. مهارة تبرير اليات العمل. مهارة تنظيم وتقديم القضايا.
مهارة التنظيم الذاتي:	مهارة التصحيح الذاتي. مهارة المعالجة الذاتية.

تساعد جميع هذه المهارات على تقوية إستخراج الغلط وتحليله ضمن السياق الذي تمارس فيه كل أشكال الغلط والتغليط أو الإيديولوجيا باعتبارها أليات للتمويه والتعتيم بين الأفراد. (31)

خاتمة:

– نخلص إلى أن المغالطة السفسطائية ساهمت في طرح إشكالية فكرية ولغوية بالغة الأهمية، رغم أن معرفتها تنبعث من قاعدة مموهة ومتلاعبة إلا أنها كانت الأساس لظهور فكر نقدي يأسس لمعايير ومبادئ تحاورية فاعلة، فتَلافِي السقوط في المخادعة يقتضي الإستجابة لمجموعة من المعايير التي وجدت ضالتها في المدرسة الهولندية كنموذج للمدارس التي سعت إلى التأسيس لثقافة الحوار من خلال البحث في البنية التداولية المنطقية الحجاجية للحوار وعلاقتها بالبنية التداولية لنظرية المغالطات وهو المفهوم الذي اعتمد على خطط متعددة ومختلفة المعالم القائمة على التلبيس، من خلال نفاذيتها في جميع طرق الخطابة الأرسطية المؤدية إلى الإقناع متلبسة بمفاهيم –الإيتوس، الباتوس، اللوغوس– ومستحذوة على مختلف الميادين،فانتقال الحجاج من الفيلسوف إلى عالم النفس إلى ميادين أكثر تخصصا كميدان الإعلام غير من مفهوم الخطيب حيث أصبحفيها الخطيب "الماكر" أو السفسطائي " المحتال" اللذين كانا يسعيان إلى إقناع المستمعين أو الخصوم قد تم تعويضهما بعالم الإجتماع " المحرك" وعالم النفس" المرائي" الذين يستخدمون معرفتهم بالحوافز المتوارية وبخفايا الحياة النفسية الجماعية أو الفردية لإقناع الفرد أفضل إقناع و تلبيسه بطرق شتى من غير شعور منه بمزايا منتوج أو بخصال مرشح أو بالقيمة الخاصة لبرنامج أو لحزب سياسي. (32) هذا الحضور القوي لكل أشكال التمويه يدفع إلى مزيد من العمل على تطوير أليات التفكير النقدي بما يتوافق ومتطلبات الواقع الذي يبيح كل الوسائل لتحقيق المنافع الخاصة وسط حمى التظليلات الإعلامية والصراعات السياسية الآخذة بالإشتداد في زمن لم يعد رحيما في صراعاته.

الهوامش:

1. حافظ إسماعيل علوي، **اللسانيات و الحجاج، الحجاج المغالط: نحوى مقاربة لسانية وظيفية**،، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 271.
2. رشيد الراضي، **السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي**، الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص227.
3. التأويلات المشتركة لا ترمز بالضرورة الى مجال حصول الاتفاق بين الاطراف المتحاورة و لكن ايضا الى مختلف انواع الاختلافات التي تحصل بين المشاركين في الحوار.
4. عبد الرزاق بنور، **الاطر الايديولوجية لبعض نظريات الحجاج**، الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 172.171.

- ميز بعض الفلاسفة مثل (Perelman) بين مصطلح الحوار(discussion) ومصطلحالنقاش(débat)فيتم إستخدام الحوار عندما تتم فيه مراعات أراء ومواقف الطرف الأخر، لذلك فهو الكفيل للوصول إلى نتائج جيدة وحاسمة لأنها عبارة عن بحث جاد في سبيل تبيان الحقيقة، أما النقاش فهو سعي بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة لإظهار فرضية ما على أنها هي الصواب.

5. حافظ اسماعيل علوي، **اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط: نحوى مقاربة لسانية وظيفية**، ج03 ، مرجع سبق ذكره، ص 273.
6. محمد الوالي، **مدخل الى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان**الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 52.53.
7. محمد النويري، **الاساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج** ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، كلية الأداب منوبة، تونس، ص 406.
8. إبتسام بن خراف، **في كتاب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة**، رسالة منشورة، لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2010، ص 355.
9. محمد النويري، **الاساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج** ، مرجع سبق ذكره، ص 406.
10. حافظ اسماعيل علوي، **اللسانيات و الحجاج، الحجاج المغالط: نحوى مقاربة لسانية وظيفية**، ج03 ، مرجع سبق ذكره، ص 272.
11. محمد أسيداه، **السفسطائية و سلطان القول: نحو أصول لسانيات سوء النية**، الحجاج: مفهومه و مجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 51.
12. إبتسام بن خراف، **في كتاب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة** ، مرجع سبق ذكره، ص 355.
13. المرجع نفسه، ص 358.
14. حافظ اسماعيل علوي، **اللسانيات و الحجاج، الحجاج المغالط: نحوى مقاربة لسانية وظيفية**،ج03 ،مرجع سبق ذكره، ص 273.
15. إبتسام بن خراف، **في كتاب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة** ، مرجع سبق ذكره، ص 357.
16. إبتسام بن خراف، **في كتاب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة**، مرجع سبق ذكره، ص 371.
17. محمد أسيداه، **السفسطائية وسلطان القول: نحو أصول لسانيات سوء النية**، الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 54.
18. عبد السلام اسماعيل علوي، **الحجاج والقانون**، الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 3،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 310.
19. إبتسام بن خراف، **في كتاب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة**، مرجع سبق ذكره، ص 359.
- الحمل (charge) أو عبئ التدليل وهي تسمية تقليدية لإلتزام الفرد بالمدافعة عن الرأي المنتقد.
20. نصر الدين لعياضي، مكر اللغة، ركن: عتبات الكلام، جريدة الخبر اليومي، الاثنين/2014/02/10.
21. عبد السلام اسماعيل علوي، **الحجاج والقانون**، ج 03،مرجع سبق ذكره، ص 312.
22. نصر الدين لعياضي، مكر اللغة، مرجع سبق ذكره.
23. رشيد الراضي، **السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي**، ج3،مرجع سبق ذكره، ص 216.
24. علي عبود المحمداوي، **الإشكالية السياسية للحداثة: من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس نموذجا**، ،دار الامان ومنشورات الاختلاف، الرباط والجزائر، ط1، 2011،ص 203.
25. محمد الداهي، **التواصل بين الاقناع و التطويع**، الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 1،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 263.262.
26. محمد النويري، **الاساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج**، مرجع سبق ذكره، ص 404.
27. إبتسام بن خراف، **في كتاب "الامامة و السياسة" لابن قتيبة**، مرجع سبق ذكره، ص 357- 359.
28. عليوي ابا سيدي، **التواصل و الحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار(التفكير) النقدي**: نموذج المدرسة الهولندية- ايمرين وغروتندورست، الحجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 2،عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010، ص 266.
29. عبد الرزاق بنور، **الاطر الايديولوجية لبعض نظريات الحجاج**، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 273.
30. المرجع نفسه، ص 270.
31. عليوي ابا سيدي، **التواصل و الحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار(التفكير) النقدي**: نموذج المدرسة الهولندية- ايمرين وغروتندورست، مرجع سبق ذكره، ص 299.298.

32. عبد الرزاق بنور، **الاطر الايديولوجية لبعض نظريات الحجاج** ، ج2، مرجع سبق ذكره، ص272.

33. ليونيل بلينجر، **الاليات الحجاجية للتواصل**، ترجمة عبد الرفيق بوركي، مجلة علامات، العدد21، المغرب ، 2004، ص41